فى مرآة الأدب

سهل بن هارون

٢

بقلم محمود مصطفى
أستاذ الأدب العربى بكلية اللغة العربية

قدمنا لك فى المقال الماضى عن سهل ما كشفنا به عن أسلوبه الحكيم ، ومنحاه الغريب فى استدلاله . ونعود اليوم فنجلو لك جانبا من عقله وناحية من ذكائه فى بدائهه التى رويت عنه ، وارتجالاته التى أكدت فضله عند من همّ بجحوده ، كذلك نورد عليك من نوادره وفكاهاته ما يضحك كل غضبان وإن تشدد ، وكل ثكلان وإن أحرقه لهيب الوجد .

وليست الفكاهة بهينة فى نفسها ، فهى صورة البديهة الحاضرة ، ونتاج الملاحظة القوية ، وعنوان الظرف والرقة . وهل ترى صاحب فكاهة إلا الألمعى الذى يظن فيؤكد ، ويتوهم فكأن قد . وهل تراه إلا ذلك المستبشر الممتلىء النفس ثقة بمواتاة الزمان ، ومحالفة الحدثان ! وهل يكون فكها إلا ذلك الواسع العطن ، الرحب النفس ، الذى عرف الحياة فسخر منها قبل أن تسخر منه ، وأدرك كنهها فاطّرحها قبل أن تطرحه ! إذاً يكون الفكه فى الناس هو الفيلسوف العملى الذى طبق نظريات أخيه فيلسوف

الخيال ، فابتسم كما أراد أخوه ، وفرح ومرح على حين ظل الثانى مكتئبا ينشد الحقيقة فتعييه ، ويبغى الكمال فلا يلفيه .

فسهل فى حكمته فيلسوف الخيال ، وفى فكاهته فيلسوف الحقيقة .

ذكروا عن دعبل الخزاعى الشاعر أنه قال : أقمنا يوما عند سهل بن هارون وأطلنا الحديث حتى أضرّ به الجوع ، فدعا بغدائه ، فأتى بصفحة فيها مرق تحته ديك هرم ، فأخذ كسرة وتفقد ما فى الصفحة فلم يجد رأس الديك ، فبقى مطرقا ثم قال للغلام : أين الرأس ؟ قال : رميت به ؛ قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ؛ قال : ولم ظننت ذلك ؟ فوالله إنى لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه . ولو لم أكره ما صنعت الا للطيرة والفأل لكرهته . أما علمت أن الرأس يتفاءل به ، وفيه الحواس الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فَرَقه [1] الذى يتبرك به ، وعينه التى يضرب بصفائها المثل فيقال : شراب كعين الديك . ودماغه عجب لوجع الكلية ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه . وإن كان بلغ من نبلك أنك لا تأكله فعندنا من يأكله . أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ، ومن رأس العنق ! انظر أين رميته . فقال : والله ما أدرى ؛ قال : أنا والله أدرى . أنك رميت به والله فى بطنك . فالله حسيبك !

وروى الجاحظ قال : لقى رجل سهل بن هارون فقال : هب لى مالا أضر به عليك ؛ فقال : وما هو يا أخى ؟ قال : درهم ؛ قال : لقد هوّنت الدرهم وهو طائع الله فى أرضه لا يعصى . وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ، والألف دية المسلم . ألا ترى إلى أين انتهى الدرهم الذى هوّنته ؟ ! . وهل يبوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ ! فانصرف الرجل . قال الراوى : ولولا انصراف السائل ماسكت سهل .

(١) يقال : ديك أفرق : بين الفرق عرفه مفروق .

ومن فكاهاته أيضا ما حكى الجاحظ : أن أبا الهذيل العلاف المتكلم سأله رقعة يكتب بها إلى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته . فكتب رقعة وختمها ودفعها إليه ، فأوصلها إلى الحسن، فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل ؛ وإذا فيها مكتوب :

إن الضمير ، إذا سألتك حاجة ... لأبى الهذيل ، خلافُ ما أبدى
فامنحه روح اليأس ثم امدد له ... حبل الرجاء المخلف الوعد
حتى إذا طالت شقاوة جَدّه ... وعنائه فاجْبَهْه بالرد
واذا استطعت له المضرة فاجتهد ... فيما يضر بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن : هذه صفته لا صفتنا . وأمر لأبى الهذيل بمال ، فعاد إليه فعاتبه فقال سهل : ترى أين عزب عنك الفهم ! أما سمعت قولى : « إن الضمير خلاف ما أبدى » فلو لم يكن ضميرى الخير ما قلت هذا .

* * *

قدمنا أن لسهل بديهة كشفت عن ذكائه وأبانت عن عبقريته ، وللبديهة وحضور الجواب شأن ليس بالهين ، ومقام دَحْض زلق لا يسلم فيه إلا كل من عصمته قريحته النافذة .

قال ابن عبد ربه فى مقدمة كتاب الأجوبة من كتابه العقد الفريد : « هى أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا ، وأغمضه مذهبا ، وأضيقه مسلكا ؛ لأن صاحبه يعجل مناجاة الفكرة ، واستعمال القريحة . يروم فى بديهته ما أبرم القائل فى رويته . فهو كمن أخذت عليه الفجاج ، وسدت عليه المخارج ، قد اعترض الأسنة ، واستهدف للرامى . لا يدرى ما يُقرع به فيتأهب له ، وما يفجؤه من خصمه فيقرعه بمثله ؛ ولا سيما إذا كان القائل قد أخذ بمجامع الكلام فقاده بزمامه بعد أن روّى فيه واحتفل ، وجمع خواطره واجتهد ، وترك الرأى يَغِبّ حتى يختمر . فقد كره الرأى

الفطير [١] ، كما كرهوا الجواب الدَّبَرى [٢] : فلا يزال فى نسج الكلام واستئناسه ، حتى إذا اطمأن شارده ، وسكن نافره ، صك به خصمه جملة واحدة ثم إذا قيل له : أجب ولا تخطىء ، وأسرع ولا تبطىء . تراه بجواب من غير أناة ولا استعداد ، يطبق المفاصل ، وينفذ المقاتل ؛ كما يرمى الجندل بالجندل ، ويقرع الحديد بالحديد . فيحل به عراه ، وينقض مرائره [٣] ، ويكون جوابه على أكثر كلامه كسحابة لبدت عجاجة . فلا شىء أعضل من الجواب الحاضر ، ولا أعز من الخصم الألد الذى يقرع صاحبه ويصرع منازعه . ويكون كمثل النار فى الحطب الجزل »

ومن أمثلة هذه البديهة فى سهل ما ذكروا من أنه دخل على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده فى الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مُرْبيا على أمسه ، مقصرا عن غده ، فقال الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، إذا رام أن يقول لا يعجزه القول ؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت ان أحدا تقدمنى إلى هذا المعنى ؛ قال : بل الأعشى الهمذانى حيث يقول :

رأيتك أمس خير بنى لؤى ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا ... كذاك تزيد سادة عبد شمس

وذكروا أن المأمون كان استقل سهل بن هارون وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ؛ فلما فرغ من كلامه أقبل سهل على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ،

(١) الفطير : كل ما أعجل من إدراكه . (٢) الدبرى : الرأى يسنح عند فوات الحاجة . ولعله نسبة إلى الدبرة (بالتحريك) وهو اسم من الادبار بمعنى الهزيمة فى القتال .
(٣) المرائر : جمع مريرة وهى الحبل المفتول .

وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون ، وتتعجبون ولا تنصفون ، والله إنه ليقول ويفعل فى اليوم القصير ما فعل بنو مروان فى الدهر الطويل . عربكم كعجمكم، وعجمكم كعبيدكم [1] . ولكن كيف يعرّف بالدواء من لا يشعر بالداء ! فرجع المأمون فيه إلى الرأى الأول.

وذكروا من محاسن تعريضاته أنه خاطب بعض الأمراء فقال له الأمير: كذبت ؛ فقال : أيها الأمير ، إن وجه الكذاب لا يقابلك . يعنى بذلك أن الأمير هو الكذاب ؛ لأن وجه الأنسان لا يقابله أبدا .

رسالته فى البخل

لا نجد من آثار سهل إلا ماقدمنا لك من كلمات أثرت عنه ، وذكرت فى مقام التدليل على فضله ، والاستشهاد على بلاغته . فأما الكلام المجتمع ، وأما القول المسهب ، وأما المشكلة من مشاكل الحياة يعالجها ، والسر من أسرارها يكشف عنه ، فذلك مالا مطمع فيه إلا فى رسالته فى البخل التى أوردها الجاحظ فى كتابه « البخلاء » . ولو فات الجاحظ هذا التسجيل لفاتنا أعظم أثر لسهل .

تلك هى الرسالة التى وجهها سهل إلى لائميه فى خطته التى سماها حزماً واحتياطاً وذرعا لمفاجأة الأيام ، وتحصناً من عوادى الخطوب ، وسماها هؤلاء اللائمون بخلا وشحاً وكزازة ، فأطلقوا ألسنتهم بعيبه وراحوا يشيعون فى الناس صور تشدده فى الحرص على المال وأساليبه فى حياته المنزلية .

---

(١) يريد أن العرب كالعجم فى عدم الإفصاح عن فضائل أمير المؤمنين . وأن العجم كالعبيد فى الغباوة وعدم القدرة على معرفة فضل المأمون . وفى قوله : « ولكن كيف يعرف بالدواء ... » اعتذار عنهم جميعا لأنهم لم يدركوا زمن بنى أمية ويعرفوا ما كان فيه من عيوب حتى يشعروا بقيمة حكم العباسيين .

فكانت الرسالة ردا على هؤلاء العائبين ، احتج فيها سهل للتقتير وانتصر للإمساك وجعله العقل والحزم ، وجعل ماعداه التفريط والغفلة. ولم يكن فى رسالته صاحب عقل فحسب يبرهن على صواب خطته بمنطق الفيلسوف أو السفسطائى الخطابى ، ولكنه كان إلى جانب ذلك ذا رواية ينقل عن عقلاء الناس وقادة الأمم ، بل خلفاء المسلمين وأئمة الصحابة والتابعين ، مثل ما أخذه عليه الناس وعابوه به . فكانت حجته سلاحاً ذا حدين ، ولساناً ذا بيانين .

ولعمرى ما تنفع الحجة إذا كانت كلها منطقا صرفا ولو حشدت فيها جميع أقيسته ، لأن فى الناس من يعييك أن تلزمه تلك الحجة ما دام الحكم فيها للعقل الصائب وحده ، وما دامت لا سند لها من الواقع يؤيدها ويقوى جانبها حتى يعيا أمامها المكابر الذى يرد عليك قياسك الصحيح بقياسه الفاسد ، وقولك الحق بقوله الباطل .

فأما البرهان المحسوس ، والشاهد من التاريخ ، والسند من فعل عظماء الرجال ، فذلك ما لامجال فيه للمكابرة ، إلا إذا نقض المكابر ماأجمع عليه الناس من صدق الحديث عن هؤلاء العظماء ، وما استقر عليه الرأى من أنهم لم يصدروا فى أعمالهم إلا عن حكمة وسداد . هذا هو أسلوب سهل فى رسالته يضرب لك المثل بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونصيحة عمر بن الخطاب ، ووصية علىّ وغيرهم من كل من عرف بصواب الرأى وحكمة التدبير ، كعمرو بن العاص ومعاوية وزياد والأحنف .

ولقد كان ظهور هذه الرسالة فى العربية حدثا لا عهد للناس بمثله ، ومفاجأة لها أكبر نصيب من الدهشة .

ذكروا أن سهلا لما صنف رسالته هذه قدمها إلى الحسن بن سهل واستماحه ، فكتب إليه الحسن :

قد مدحت ماذمه الله ، وحسنت ماقبحه الله ، وما يقوم بفساد معناك صلاح لفظك ؛ قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فما نعطيك شيئاً .

وقال الجاحظ : ما علمت أحداً جرد فى البخل كتابا إلا سهل بن هارون وأبا عبد الرحمن الثورى

* * *

نص الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم ، وجمع شملكم وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأحنف بن قيس : يا معشر تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيّابا فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من قعيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب . وقبيح أن تنهى مرشداً وأن تُغرّى بمشفق . وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم وإصلاح فاسدكم ، وإبقاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أنّا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لكم ولأنفسنا البلكم ، وشُهرنا به فى الآفاق دونكم . ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » فما كان أحقنا منكم فى حرمتنا بكم أن تراعوا حق قصدنا بذلك إليكم على ما رعيناه من واجب حقكم (١) . فلا العذر المبسوط بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم .

(١) يريد بهذه الجملة : « فما كان أحقنا ... » إننا قصدنا إليكم بالنصيحة وراعينا حقكم علينا فى ذلك فكان يجدر بكم ونحن ذوو كرامة فيكم ان تقابلوا ذلك منا بالشكر والعمل بما نصحناكم به . وفى ترتيب الجملة ومعانى حروفها عواصة لا تحل إلا اذا راعيت أن الباء فى بكم للظرفية وأن على فى « على ما رعيناه » بمعنى مع

ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شغلا .

عبتمونى بقولى لخادمى : أجيدى العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد فى رَيْعه [١] وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : املكوا [٢] فانه أحد الرَّيْعين .

وعبتمونى حين ختمت على مافيه شىء ثمين من فاكهة رَطْبة نقية ، ومن رُطَبة غريبة، على عبدنهم، وصبى جشع، وأمة لكْعاء [٣]، وزوجة مُضيعة.

وعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مِزْوَد [٤] سويق وعلى كيس فارغ ، وقال: طِينة خير من طِيَة . فأمسكتم عمن ختم على لاشىء وعبتم من ختم على شىء .

وعبتمونى أن قلت للغلام : إذا زدت فى المرق فزد فى الإنضاج ليجتمع مع التأدم باللحم طيب المرق .

وعبتمونى بخَصْف النعل، وبتصدير [٥] القميص ؛ وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أقوى وأشبه بالشد ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْصِف نعله ويَرْقَع ثوبه ويقول : لو أهدى إلىَّ ذراع لقبلت، ولو دعيت لكراع [٦] لأجبت . وقالت الحكماء: لاجديد لمن لم يلبس الخَلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا، فأتاه به موافقا فقال له : أكنت به ذامعرفة ؟ قال : لا ، ولكن رأيته فى يوم قائظ يلبس خلقا ويلبس الناس

---

(١) الريع : فضل كل شىء كريع العجين والدقيق والبزر ونحوها

(٢) ملك العجين وأملكه أنعم عجنه (٣) يريد باللكعاء الحمقاء وهى أنثى اللكع كما أن لكعة أنثى لكع كصرد والمعنى واحد (٤) المزود كمنبر : وعاء الزاد

(٥) تصدير القميص : جعل رقعة فى صدره (٦) الكراع من البقر والغنم : مستدق الساق ، ويؤنث .

جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخَلَق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شىء قدرا ، وسما به موضعا ، كما جعل لكل زمان رجالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالدواء ، وأغص بالماء . وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكسبين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك النعل ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة . ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية.[1] وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى إليك دجاجة فقال : إن كان لا بد فاجعلها بَيُوضاً .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . ولقد أتيت بماء للوضوء على قدر الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزائه على الأعضاء ، وإلى التوفير عليها من وضيعة[2] الماء ، وجدت فى الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر . فعبتمونى بذلك وشنّعتم علىّ . وقد قال الحسن وذكر السَّرَف : أما إنه ليكون فى الماعونين الماء والكلأ . فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلأ[3] .

وعبتمونى أن قلت : لا يغترن أحدكم بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ودقة عظمه ، ووهن قوته ، أن يرى أكبر منه ، فيدعوه ذلك إلى إخراج

---

(١) الأضحية : (بضم الهمزة وتخفيف الياء) الشاة تذبح . ويجوز كسر الهمزة . ومثلها الضحية كغنية والجمع ضحايا والأضحاة والجمع أضحى (٢) الوضيعة : ما نقص من الشىء (٣) يقال ردفه (كمنع ونصر) بمعنى تبعه كأردفه . فالفعل فى كلام سهل المعدى لاثنين هو ردف المعدى لواحد ، وبهمزة التعدية صار معدى لاثنين .

ماله من يده ، وتحويله إلى ملك غيره ، وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه . فلعله يكون معمرا وهو لا يدرى، وممدودا له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله يرزق الولد على اليأس ، ويحدث عليه من آفات الدهر مالا يخطر على بال ولا يدركه عقل . فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، أصعب ما كان عليه الطلب ، وأقبح ما كان به أن يطلب [1] فعبتمونى بذلك وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وعبتمونى بأن قلت : إن السرف والتبذير إلى مال المواريث وأموال الملوك ، وإن الحفظ للمال المكتسب، والغنى المجتلب ، إلى من يتعرض فيه لذهاب الدين، واهتضام العرض، ونصب اليد، واهتمام القلب أسرع .[2] ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أوذن بالفقر، وطالب نفسا بالذل .

وعبتمونى أن قلت : إن الكسب الحلال يضمن الإنفاق فى الحلال، وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الإنفاق فى الهوى حجاب دون الهدى . فعبتم علىّ هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أر تبذيرا إلا وإلى جانبه حق مضيع . وقد قال الحسن : إن أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيما ذا ينفقه ، فإن الخبيث إنما ينفق فى السرف. وقلت لكم بالشفقة عليكم، وحسن النظر منى إليكم ، وأنتم فى دار الآفات ، والحوائج غير مأمونات . فإن أحاطت

(١) أصعب: حال من فاعل يظهر الشكوى ، وأقبح: معطوف عليه. والمعنى: أنه يفعل ذلك فى حال كون الطلب والاستجداء أصعب شىء على نفسه. وأقبح شىء به بعد العزة التى كان فيها . (٢) فى هذه العبارة فى الأصل اضطراب أزلناه بيسير من التغيير. فقد كان الأصل : « والمال المجتلب وإلى من لا يعرض فيه بذهاب الدين . . » والجملة بهذا النص غير مفهومة .

بمال أحدكم آفة لم يرجع إلا إلى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة، فإن البلية لا تجرى فى الجميع إلا بموت الجميع . (١)

وقد قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فى العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا .

وقد قال ابن سيرين لبعض البحريين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ فقالوا: نفرقها فى السفن فإن عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا فى البحر . قال ابن سيرين :تحسبها خرقاء وهى صناع.

وعتبونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لسكر ، وللمال لنزوة ، فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله .

فعتبونى بذلك وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحد أقصر عقلا من غنى أمن الفقر، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر وقد قال الشاعر فى يحيى ابن خالد بن برمك

وهُوبُ تِلادِ المالِ فيما يثوبه منوع إذا ما منعه كان أحزما

وعتبونى حين زعمتم أنى أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم، وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم، فهو أصل والأصل أحق بالتفضيل من الفرع .فقلتم : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ فقال : العلماء ؛ فقيل له : فمال بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال ، وجهل الأغنياء بحق العلم؛ فقلت :حالهما هى القاضية بينهما ، وكيف يستوى شىء حاجة العامة إليه ، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض ؟

(١) يريد أن المصيبة أو الآفة إذا أصابت شيئا مجتمعا أتت عليه جميعا. فكلمة « الجميع » الأولى فى تعبيره بمعنى المجتمع ، والثانية بمعنى الكل .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال ابو بكر رضى الله عنه : إنى لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدؤلى يقول لولده : إذا بسط الله لك الرزق فابسط ، وإذا قبض فاقبض .

وعتمونى حين قلت : فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآلة تكون فى البيت إذا احتيج إليها استعملت ، إذا استغنى عنها كانت عُدَّة . وقد قال الحُصين بن المنذر : وددت أن لى مثل أُحُد ذهباً لا أنتفع منه بشىء ؛ قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمنى عليه ، لأن المال مخدوم . وقدقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه إلا أنه عز فى قلبك ، وذل فى قلب عدوك ، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع فيه عظيما .

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو . ولستم علىّ تردون ولا رأيى تفندون . فقدموا النظر قبل العزم ، وأدركوا مالكم قبل أن تدركوا مآلكم . والسلام عليكم [1] .

(١) قصدنا بايراد هذه الرسالة كلها إلى ثلاثة مقاصد : أولها أن نكثر مصدرها بجعل صحيفة دارالعلوم الخالدة أحد هذه المصادر ، وثانيها أن نتناول بالاصلاح ماعبثت به أيدى النساخ من عبارات هذه الرسالة ، وثالثها أن نيسر لقراء الصحيفة الكرام مطالعتها من غير رجوع إلى الكتب التى قد يصعب توافرها عند كل راغب فى الاطلاع على الرسالة .